الورقة الثالثة

طبيعة المعركة ومتغيراتها العسكرية والأمنية

صفوت الزيات*

إن التقييم الفوري لحرب ما زال غبار معاركها ودخان مدافعها لم ينقشع بعد مسألة لها خطرها الدائم وانحيازها الكامن وعدم الدقة القائم، والأمر صحيح عندما تتحول المهمة من وصف لقتال إلى استخراج لدروس من بيانات ومعلومات لم يكتمل بعد مبناها، ومن المهم أن نتذكر أن الأمر قد يأخذ ما بين عام كامل وعام ونصف لتأكيد المطروح من أرقام وسبر غور وقائع الحدث.

الحرب الإسرائيلية – الفلسطينية الأولى، والحرب الإسرائيلية- العربية السابعة أو ما بات يعرف بـ "عملية الرصاص المنصهر" خطط لها منذ عامين من اندلاعها، وتحديدا عقب انتهاء الحرب الثانية على لبنان صيف العام ٢٠٠٦، وروجعت خطوطها العامة في زيارة الرئيس الأمريكي الخاطفة للمنطقة في كانون ثاني/يناير من العام ٢٠٠٨، حيث تسرب آنذاك قدر من التفاصيل التي نفذ الكثير منها في العملية العسكرية الأخيرة.

الخطوط التفصيلية للعملية تم تدقيقها في منتصف حزيران/يونيو ٢٠٠٨، على التوازي مع إعلان اتفاق التهدئة بين إسرائيل وفصائل المقاومة في القطاع، ثم عرضت الخطة على وزير الحرب الإسرائيلي إيهود باراك للموافقة في ١٩ تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠٠٨، وصادق عليها هو ورئيس وزرائه إيهود أولمرت في ١٣ كانون أول/ديسمبر ٢٠٠٨، واعتمدت من قبل مجلس الوزراء الإسرائيلي بكامل هيئته مساء ٢٤ كانون أول/ديسمبر ٢٠٠٨، في اجتماع أعلن عنه تحت عنوان خادع لـ"بحث مخاطر الجهاد الدولي"، وتحت ستار خادع وصلت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفنى إلى القاهرة صباح اليوم التالي ٢٥ كانون أول/ديسمبر لمشاورات بشأن الأزمة في قطاع غزة، ثم

---

* **أ. صفوت الزيات:** عميد ركن متقاعد، ومحلل عسكري استراتيجي- مصر.

إمعانا في الخداع أعلنت إسرائيل في اليوم التالي عن فتح المعابر الحدودية مع القطاع لعبور أرتال الإمدادات إلى داخله.

وهكذا، في منتصف نهار ٢٧ كانون أول/ديسمبر ٢٠٠٨ شن الطيران الإسرائيلي أولى ضرباته الجوية الأكثر عنفا وكثافة وسط مدينة غزة مستهدفا خلال ما لا يزيد على (٣٠) دقيقة (١٥٠) هدفا شملت مقرات حكومية ومنشآت بنية أساسية لحركة حماس ومواقع لإطلاق الصواريخ بعيدة المدى، وأبنية مدنية، ومساجد، بدعوى حيازتها لمخزونات أسلحة وذخائر تابعة للحركة في تكرار واضح لإستراتيجية "الصدمة والرعب" الأمريكية وإيذانا ببدء واحدة من أكثر الصراعات المسلحة وحشية ودموية دامت ٢٣ يوما بكاملها أودت بحياة حوالي ١٣١٥ وإصابة حوالي ٣٥٠٠ من الفلسطينيين غالبيتهم من المدنيين الأطفال والنساء، وإتلاف وتدمير ما يزيد على ٢٠,٠٠٠ مبنى ومنشأة، كلي (٤٠٠٠-٦٠٠٠ مبنى) وجزئي (١٦ ألف مبنى)، وبتكاليف إجمالية قاربت ملياري دولار.

في هذه الورقة سنعرض لجوانب أساسية في هذه الحرب:

- طبيعة الحرب "الحرب غير المتماثلة".
- الاستعداد العسكري لأطراف الحرب.
- الأهداف السياسية لأطراف الحرب.
- التخطيط للعملية العسكرية "الرصاص المصبوب".
- تنفيذ العملية العسكرية "الرصاص المصبوب".
- إنهاء العملية العسكرية "الرصاص المصبوب" ومؤشرات عن المحصلة.

"الحرب غير المتماثلة"

إن الحرب التي دارت في غزة نوع من الحروب التي تدور بين عسكريات دول من جانب بقدراتها العسكرية التقليدية المتفوقة الحائزة للأسلحة المتطورة والتقنيات الحديثة وتكتيكات القتال المحترفة، وفي حالتنا هذه إسرائيل المالكة لأدوات الثورة الحديثة في

الشؤون العسكرية وجوهرها نظام الأنظمة SYSTEM OF SYSTEMS، وبين أطراف من غير الدول NON-STATE ACTORS ممثلة في حركات مقاومة مدعومة برصيد شعبي مؤسس على أبعاد إثنية أو ثقافية أو دينية أو إيديولوجية وحائزة لقدرات عسكرية متواضعة مع امتلاك قدرة عالية على توظيف أدوات العولمة الحديثة من نظم المعلومات والاتصالات والإعلام في صراعها مع الطرف الأول، وفي حالتنا هذه حركة حماس وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية، والأمر الثابت من تحقيق التاريخ غلبة الطرف الأضعف غير الدولة.

يطلق على هذا النوع من الحروب مسمى الحروب غير المتماثلة "ASSYMETRIC WARFARE" باعتبار التباين الشديد بين أطرافها في القدرات القتالية وأساليب القتال واستراتيجيات الحرب المتبعة.

الطرف غير الدولة يدرك صعوبة النصر العسكري الحاسم بقدر ما يمكن إمكانية الانتصار السياسي عبر الاستهداف الدؤوب لعقلية صناع القرار السياسي للخصم (الدولة) بهدف إقناعهم أن أهدافهم السياسية من الحرب لن تحقق أو أن تكلفة تحقيقها تزيد بكثير عن المنفعة المدركة منها.

الطرف الأضعف سيتجنب إذاً نطاق التفوق التقليدي للخصم (أنظمة استخبارات ومراقبة واستطلاع - أسلحة متطورة- أساليب قتال تقليدي) وسيسعى للعمل أسفل وأعلى هذا النطاق.

في **الأسفل** عبر إدارة حرب عصابات مدينية داخل مناطق سكانية مأهولة يدرك فيها تفوقه في هذه البيئة المعروفة لديه، كما يدرك فيها ثقل وطأة الخسائر المدنية التي سيوقعها الخصم في تلك البيئة وانعكاساتها الإقليمية والدولية الهائلة.

في **الأعلى** سيركز على معركة سياسية تستهدف إرادة القتال لدى صناع القرار السياسي للخصم، والعمل على تآكل قاعدة دعمه الداخلية عبر كل من إطالة مدة الصراع وإيقاع منتظم للخسائر فيه وتوظيف جيد للإعلام بأدواته المختلفة.

الأهم أن عدم التماثلية لا تكمن فقط في القدرات القتالية وأساليب القتال والاستراتيجيات المعلنة، بل يكمن أيضا في أن قياسات النصر والهزيمة أيضا غير متماثلة، فالطرف الأقوى عليه تحقيق النصر وإلا يكون قد فشل، والطرف الأضعف عليه تحقيق البقاء عند خاتمة الصراع والاستمرار في إظهار قدرة القتال لتحقيق النجاح.

الاستعداد العسكري لأطراف الحرب

- **إسـرائيـل**

يمكن إبراز أهم عناصر التهيؤ الإسرائيلي لـ"عملية الرصاص المصبوب" في الأبعاد الثلاثة التالية:

- **البعد التنظيمي:** أعادت القوات الإسرائيلية هيكلة نظام القيادة والتدريب والجاهزية العملياتية فور انتهاء حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦، حيث استبعد التركيز على العمليات الشرطية منخفضة الحدة التي مارسها خلال السنوات ٢٠٠٠ – ٢٠٠٥ ضد الفلسطينيين، وركز على التدريبات والتمارين الواقعية على مستوى تشكيلات كبرى بحجم الفرق واستوعب دروس الحرب السابقة في حدود فاعلية القوة الجوية ومخاطر القتال البري والعمل على خطوط عمليات متعددة، وأعاد الاهتمام بتدريب القوات الاحتياطية ورفع كفاءتها القتالية.
- **البعد الاستخباراتي:** طور قائمة بأهداف الخصم على مدى سنوات عبر خرائط تصوير جوية متداخلة بتفاصيل عالية الدقة مدعومة باستخبارات بشرية فعالة مع إدامة تحديثها على أساس شبه آني، كما تعاونت القوات الإسرائيلية مع جهاز الأمن الداخلي SHIN BET لأول مرة لتعزيز تفاصيل قائمة أهداف الخصم اعتمادا على عناصر استخبارات بشرية (فلسطينية) واستخبارات فنية أخرى.
- **البعد الخداعي:** حققت مستوى عالياً من سرية التخطيط النسقي المستقل للعملية، وحظرت التغطية الإعلامية في منطقة العمليات، ومنعت وسائل الاتصال اللاسلكية الفردية، وأدارت عمليات خداع وتمويه سبق الإشارة إليها آنفا، وحددت توقيت بدء

العملية في يوم السبت الموافق لأحد أعيادها الدينية وفي منتصف نهاره واتخذت تشكيلات الطائرات المهاجمة مسار الطيران التجاري القادم من اتجاه البحر المتوسط.

- **حمـــاس**

لا تتوافر معلومات موثوقة عن الطرف الفلسطيني المقاوم- باعتبار طبيعة حركات التحرر الشعبية- وإن كان يمكن طرح أبعاد التهيؤ التالية في العام الأخير قبل الحرب:

- حيازة أنظمة صاروخية ذات مديات أطول منها صواريخ (MM١٢٢GRAD) القياسية ذات مدى ٣٠كم، وأعلنت عنها بإطلاقها في ٢٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٨ على مدينة عسقلان، والصواريخ (MM١٢٢GRAD) المعدلة الأكثر مدى حتى ٤٣كم، والتي مثلت مفاجأة للطرف الإسرائيلي إبان الحرب.
- حيازة أنظمة صاروخية خفيفة مضادة للطائرات (-٧SA) و(-٥HN) كما حازت أنظمة صاروخية مضادة للدبابات منها القاذف الصاروخي المطور -٢٩RPG.
- تجهيز منطقة العمليات المتوقعة داخل وحول مدينة غزة وامتداداتها بتطوير شبكة أنفاق لأعمال المناورة بالقوات وإطلاق الصواريخ، وأعمال التلغيم وتنظيم الشراك الخداعية ومناطق العبوات المتفجرة المصنعة على محاور التقدم المتوقعة لآليات العدو.
- التوسع في التصنيع المحلى وتطويره لسلسلة صواريخ القسام بمدياتها المختلفة (آخرها الصاروخ قسام-٣، ذي المدى ١٠-١٢كم).

الأهداف السياسية للحرب

- **الطرف الإسرائيلي**

حددت إسرائيل أهدافها الرئيسة في الآتي:

- إضعاف القدرة السياسية والعسكرية لحركة حماس.
- استعادة مستوى الردع الإسرائيلي.
- تغيير البيئة الأمنية في جنوب إسرائيل.

وهي في مجملها أهداف ملتبسة لا تتوافر لها قياسات كمية متعارف عليها، ويبدو أن القيادة السياسية الإسرائيلية ممثلة في الثلاثي أولمرت- ليفنى- باراك لم تكن على إجماع حول مدة العملية ولا للأولوية التي تعطى للعمل الدبلوماسي ولا للشروط التي عندها يمكن إنهاء القتال.

- **الطرف الفلسطيني**

حدد أهدافه الرئيسة في:

- وقف الحصار الدائم على القطاع منذ أكثر من عام ونصف ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- فتح المعابر الحدودية مع كل من مصر وإسرائيل.
- صد العدوان ومنعه من تحقيق أهدافه.
- المحافظة على الجبهة الداخلية.
- تحسين وضع حماس السياسي فلسطينيا وعربيا ودوليا.

وذلك مقابل وقف إطلاق الصواريخ على التجمعات السكانية الإسرائيلية في الجنوب.

التخطيط العسكري الإسرائيلي لعملية "الرصاص المصبوب"

عملت القيادة العسكرية الإسرائيلية في التخطيط للعملية على ضوء محددات ثلاثة فرضتها القيادة السياسية شملت تجنب احتلال مطول للأراضي الفلسطينية، والحد الأدنى للخسائر البشرية الإسرائيلية، إضافة إلى عدم خلق مستوى صراع يكون غير محتمل داخل إسرائيل أو يؤدى إلى أزمة دولية ممتدة وبخاصة مع الإدارة الأمريكية الجديدة.

ويمكن القول إن القيادة العسكرية وفرت خطة مرنة لم تشمل جداول زمنية صلدة أو خطوط مراحل جامدة بل تركت الأمر في ذلك إلى النتائج المحققة على الأرض والقرار السياسي للانتقال من مرحلة إلى أخرى، وقد شملت العملية مرحلتين أساسيتين:

- **المرحلة الأولى: الحملة الجوية** AIR CAMPAIGN

تعتمد فيها الاستخدام الموسع شبه المنفرد لسلاح الجو الإسرائيلي الذي يتمتع بحيازة

أحدث طائرات القتال وأنظمة الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع التي توفر وعيًا آنيا REAL TIME بالموقف التكتيكي للقادة والوحدات المقاتلة وصولا لمنصات الإطلاق SHOOTERS، إضافة إلى ذخائر توجيه دقيقة يمكن أن توفر قدرات قصف "جراحية" في المناطق المأهولة سكانيا، فضلا عن منظومة كاملة من الطائرات المسيرة لمهام المراقبة والاستطلاع والتهديف معا، وقد شملت قائمة أهداف القصف (٦٠٣) أهداف رئيسة، وقدر لتنفيذ مهمة المرحلة حوالي ٧ أيام.

- **المرحلة الثانية: الحملة البر جوية** AIR-LAND CAMPAIGN

تتولى تنفيذها الفرقة ١٦٢ المدرعة "فرقة غزة" مدعومة بفرقة أخرى في الاحتياط وبلواء مظلات وعناصر دعم أخرى بهدف استكمال تحقيق الأهداف الرئيسية الثلاثة بالتعاون مع القوات الجوية وعناصر من البحرية الإسرائيلية، حيث يتم العمل البري باستخدام ٣ مجموعات كل منها بقوة لواء مدعم لتطويق مدينة غزة من الشمال والوسط والجنوب، وتأمين منطقة إطلاق الصواريخ الفلسطينية قرب الحدود الشمالية للقطاع وعزل معظم قوات فصائل المقاومة داخل مدينة غزة عن باقي القطاع.

وقد قدرت رئاسة الأركان الإسرائيلية ومعها القيادة العسكرية الجنوبية المسؤولة عن إدارة العملية مدة المرحلة بحوالي ٧ - ١٠ أيام، حيث رأت أن الحرب عندئذ ربما تكون قد وصلت إلى نقطة الذروة التي بعدها ستبدأ في تقليص المكاسب المحققة وتراكم الآثار السلبية، باعتبار ما تفرضه التطورات على الأرض من وضع استاتيكي للقوات البرية الإسرائيلية، وتنامي قدرة حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى على التكيف مع بيئة العمليات التي يكون قد انقضى منها حوالي أسبوعين كاملين.

ومن الملاحظ على هذه المرحلة أنها ارتبطت بالمحددات السياسية الثلاثة السابقة، رغم أن الحديث كان قد كثر عن وجود **مرحلتين أخريين**، إحداهما الاحتلال الكامل للقطاع وتدمير قوات حركة حماس، والأخرى هي تهيئة الأوضاع لإعادة إدخال السلطة الفلسطينية وقوات حركة فتح للقطاع مرة أخرى، إلا أن أسبابا عدة حالت دون ذلك رغم ما تردد من أن الأمر ظل مطروحا بقوة خلال الإعداد للعملية.

مراحل تنفيذ العملية العسكرية

- **المرحلة الأولى: الحملة الجوية** AIR CAMPAIGN

رغم أن سلاح الجو الإسرائيلي لم يصدر تفاصيل كاملة عن الجهد الجوي المنفذ خلال تلك المرحلة، فإن المتاح من بيانات ومعلومات تشير إلى أن سلاح الجو قصف (١٥٠) هدفا في اليوم الأول من الحملة، ثم (٩٠) هدفا في اليوم التالي من الحملة، واستمر معدل التهديف في حدود (٤٠-٧٠) هدفا حتى نهاية هذه المرحلة التي استغرقت (٧) أيام كاملة.

وهناك أقوال تشير إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي استنفذ قائمة أهدافه الـ٦٠٣ هدفا بكاملها في اليوم الرابع من بدء الحملة التي شملت مناطق مصنفة أنها مناطق نشر أنظمة الإطلاق الصاروخية المجهزة، ومنشآت تخزين الأسلحة والذخائر، والتصنيع، ومناطق تواجد الأنفاق والملاجئ، ومقرات حركة حماس ومنازل القادة والمسئولين فيها، إضافة إلى القصف العميق للأنفاق المنتشرة على طول الحدود بين غزة ومصر فيما يعرف بمحور فيلادلفيا.

ورغم ما نشر من أرقام في بيانات إسرائيلية عن عدد القتلى في صفوف حركة حماس (حوالي ٤٥٠ مقاتلا) والأهداف التي قصفت، فإن عددا من كبار الضباط الإسرائيليين أشاروا إلى أن حركة حماس ظلت سليمة إلى حد كبير في قدراتها العسكرية باعتبار القوة البشرية لمقاتليها والتي قدروها بـ(٦,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠) مقاتل مؤهل بخلاف ضعف هذه الأرقام من المتطوعين المؤقتين، وكذلك باعتبار القدرة المتواصلة على الاطلاقات الصاروخية تجاه التجمعات السكانية الإسرائيلية في الجنوب والتي زادت عن ٥٠٠ صاروخ، ويشير الضباط الإسرائيليون إلى نجاح حركة حماس في سرعة إعادة نشر وإخفاء الكثير من الأسلحة والذخائر تحت القصف الإسرائيلي، ويبدو في المحصلة أن القيادة السياسية الإسرائيلية واجهت معضلة استراتيجية في نهاية هذه المرحلة، حيث وضح أنه رغم الزعم بالمكاسب التكتيكية التي تحققت على الأرض من تدمير لكثير من القدرات العسكرية لحركة حماس حسب الادعاءات الإسرائيلية الإعلامية، إلا أن الأخيرة لم تبد أي

قدر من التنازل عن شروطها لوقف إطلاق النار، وكأن الأمر عاد لذات المواقف التي كان عليها الطرفان قبل شن الحرب.

- **المرحلة الثانية: الحملة البرجوية** AIR - LAND PHASE

نفذت القوات البرية الإسرائيلية عملياتها على مستوى مجموعات الألوية وليس على مستوى الفرق كما كان في السابق، وقد قامت بتطويق مدينة غزة من الشمال والوسط والجنوب، بينما اندفعت تجاه الساحل جنوب المدينة لعزلها والنطاق الشمالي عن بقية قطاع غزة، وقد اعتمدت هذه القوات النيران البعيدة الكثيفة التي وفرتها وحدات المدفعية على المستوى الأفقي والقوات الجوية على المستوى الرأسي في إزالة الشراك الخداعية، وتطهير المناطق الهامشية المحيطة بمدينة غزة، تجنبا لوقوع اشتباكات متلاحمة مع عناصر المقاومة قد تؤدي إلى خسائر بشرية عالية في صفوف القوات الإسرائيلية، كما توسعت هذه القوات في العمليات الليلية لشل قدرة المقاومة في عمليات رد الفعل السريع، وبرز استخدامها الموسع للبلدوزرات المدرعة- 9D على نحو خاص لفتح ممرات تقدم غير متوقعة عبر تجريف الأبنية تجنبا لطرق التقدم المعتادة التي بثت فيها المقاومة الفلسطينية شبكات كثيفة من العبوات المتفجرة، ويبدو أن السمة السائدة كانت العمليات الهامشية بعد إتمام تطويق مدينة غزة، مع تنفيذ اختراقات سريعة ومحسوبة إلى داخل الأحياء الإطارية، بينما أحجمت حماس عن العمل في المناطق الهامشية المفتوحة، وتجنبت الاشتباكات المباشرة تحسبا للمواجهات المرتقبة داخل المناطق ذات الكثافة السكانية، وهو الأمر الذي أحجمت عنه القوات الإسرائيلية في المقابل.

وفي نفس الوقت استمرت فيه العمليات الجوية لدعم عمليات القوات البرية إضافة إلى مطاردة منصات الإطلاق الصاروخية التي استمرت في إطلاقاتها تجاه التجمعات السكانية الإسرائيلية في الجنوب.

ويمكن القول إن هذه المرحلة قد وفرت مكاسب تكتيكية للطرف الإسرائيلي شملت:

- تطويق مدينة غزة وعزلها عن بقية القطاع بمن فيها من عناصر قوات المقاومة الفلسطينية.

- تأمين الطرق الرئيسة في وسط القطاع وشماله.
- إدامة ضغط ثابت على قوات المقاومة الفلسطينية ومحاولة إنزال خسائر في قواتها وبنيتها الأساسية.
- عمل بعض الاختراقات المحدودة إلى داخل الأحياء الإطارية لمدينة غزة.

نفذت المرحلة البر- جو على مدار ١٦ يوما وانتهت بإعلان إسرائيل لوقف نار أحادي من جانبها، يبدأ سريانه اعتبارا من الساعة ٠٢,٠٠ صباح ١٨ كانون أول/ يناير ٢٠٠٩.

ويبدو نجاح الطرف الإسرائيلي في الحفاظ على **معدل خسائره البشرية في حده الأدنى**، حيث تكبد حسب بياناته ١٠ جنود قتلى وعدة عشرات من الجنود المصابين، بينما بلغت خسائره في المدنيين (٤) قتلى و (٨٤) مصابا جراء الهجمات الصاروخية للمقاومة، وهي أرقام غير واقعية في حديثه عن حجم الهجمات الصاروخية للمقاومة كما ونوعا، وربما يعزو هذا النجاح إلى عاملي استخدام النيران الكثيفة البعيدة الرأسية والأفقية معًا وإلى تجنب الاشتباك المتلاحم مع عناصر المقاومة الفلسطينية بالامتناع عن الدخول إلى قلب المناطق السكانية الكثيفة في مدينة غزة وبقية مدن القطاع.

على جانب حماس فالتقديرات الإسرائيلية تعترف بأنها **خرجت من هذه المرحلة ومن الحرب عمومًا بقدرات عسكرية سليمة إلى حد كبير** باعتبار:

- محدودية الخسائر البشرية في صفوف مقاتليها، فتقديرات القوات الإسرائيلية تشير إلى خسارتها لحوالي (٦٠٠) مقاتل وهى نسبة بسيطة مقارنة بقوة تصل في تعدادها إلى حوالي (١٠,٠٠٠) مقاتل، بينما تقدر حركة حماس أن خسائرها لم تتجاوز (٤٨) مقاتلا فقط.
- توافر رصيد من القدرة الصاروخية لدى الحركة توفر لها الاشتباك على مستوى معتدل في المستقبل، فالبيانات الإسرائيلية تزعم بأن الحركة أطلقت حوالي (٦٠٠) صاروخ، ودُمر لها حوالي (١,٢٠٠) صاروخ وأن المتبقي لديها من رصيد يصل إلى

حوالي (١,٢٠٠) صاروخ، ويزعم خبراء إسرائيليون أن الحركة قد استأنفت الحصول على إمدادات من الخارج لهذه الأنظمة مباشرة فور توقف القتال، رغم عدم وضوح حقيقة تدمير أي صواريخ أو مخازنها أو منصاتها، باستثناء ما تدعيه إسرائيل بلا أدلة على الأرض.

- أن حركة حماس التي بدأت الحرب دون خبرة قتال يتوافر لديها الآن خبرات قتال عالية اكتسبتها من واقع المواجهة مع آلة عسكرية تقليدية متقدمة بصورة كبيرة.
- أن حركة حماس أصبحت تتوافر على وعاء تجنيدي غير مسبوق بحكم حالة الغضب الشعبي الناجم عن العنف الإسرائيلي وجرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل إبان هذه الحرب.

وهو الأمر الذي أشار إليه الاستراتيجي الأمريكي الشهير أنتونى كوردسمان ANTHONY H. CORDESMAN في دراسة حديثة له عن الحرب بقوله: **"لا خبير إسرائيليا واحدا يشعر بأن حماس قد أعيقت من هذه الحرب، أو خسرت كل إمكانياتها التصنيعية، أو أن لديها نقصا في الأسلحة والذخائر، أو أنها استنفدت ما لديها من الصواريخ والهاونات"**.

إنهاء العملية العسكرية ونتائجها العسكرية

أعلنت إسرائيل في ١٧ يناير ٢٠٠٩ وقفاً أحادياً من جانبها لإطلاق النار اعتباراً من الساعة ٢:٠٠ صباح اليوم التالي ١٨ يناير ٢٠٠٩، وفي الوقت الذي أعلن فيه رئيس الوزراء إيهود أولمرت أن "أهداف العملية تحققت بالكامل"، فإن ثمة ما يشير إلى أن الأمر لم يكن كذلك، ليس فقط لأن الأهداف السياسية لهذه الحرب قد وضعت بصورة غامضة ملتبسة، ولكن لأن الأوضاع أيضا على الأرض لم تكن تدعم بأي حال أي نتيجة محققة سوى أن **الإنهاء الإسرائيلي جاء متزامنا مع نتائج غير حاسمة تؤشر لفشل إسرائيل** في إنجاز قدر ملموس في أي من أهدافها السياسية التي قدرتها لشن هذه الحرب:

– فالقدرة العسكرية لحركة حماس وباعتراف القادة والخبراء الإسرائيليين ما زالت

على قدر كبير من الفاعلية، وكذلك الموارد المادية رغم الإقرار بتعرضها لخسائر بشرية ومادية كبيرة على أي حال.

– كما أن القدرة السياسية لحركة حماس واستمرار قبضتها على السلطة في القطاع أعلنت عن نفسها منذ الساعات الأولى التي تلت الوقف الأحادي للنار من الجانب الإسرائيلي.

– ثم إن مستويات الردع الإسرائيلي التي تزعم اسرائيل أنها استعادتها ما زال مشكوكا في صحتها، حيث أن إرجاء حركة حماس لوقف النار من جانبها واستمرارها في إطلاق الصواريخ والهاونات لفترة ما بعد التوقف الإسرائيلي لإطلاق النار، واستئناف الحركة لإمداداتها من الذخائر والسلاح، إضافة إلى ضعف أثر الرسائل التي سعت إسرائيل من خلال هذه العملية لإرسالها لأطراف إقليمية أخرى كحزب الله وسوريا وإيران تبدو جميعها مؤشرات قوية على الشك في مسألة الردع.

– ثم إن إنهاء العمليات العسكرية جاء في وقت لم تحسم فيه مسألة البيئة الأمنية الجديدة في الجنوب الإسرائيلي، بل إن الأمر ما زال مرهونا بترتيبات تهدئة وتحركات دبلوماسية إقليمية ودولية متباطئة تؤشر إلى أن محصلة هذه الحرب لم تكن حاضرة على موائد المفاوضات والمباحثات الجارية.

مرة أخرى، ها هي إسرائيل وخلال عامين ونصف العام تنهى حربا ثانية على حدودها دون نتائج واضحة ولكن بأرض محروقة، ثم إنها تنهى حربا على الخارج لتبدأ معها حروبا في الداخل حول معالم الفشل الواضح في هذه الحرب، الأمر الذي يتطلب ليس فقط الإنصات بشدة لهذه الحروب ولكن الإمعان في ملامح المعضلات الوجودية للدولة الإسرائيلية ذاتها.